Müteşabih Ayetlerin Bağlam Belağatı ve Tefsire Etkisi

Dr. Öğr. Üyesi Ahmed Aldyab

ORCID ID: <https://orcid.org/0000-0002-9497-9197>Ankara Yıldırım Beyazıt Üniversitesi, İnsan ve Toplum Bilimleri Fakültesi, Doğu Dilleri ve Edebiyatları
Bölümü, Ankara – TÜRKİYE**Makale Geçmişi**

Geliş: 10.05.2021

Kabul: 15.07.2021

On-line Yayın: 28.09.2021

Anahtar KelimelerBelagat
Arap Dili
Tefsir
Ayet
Retorik Farklılıklar
Bağlam**Araştırma Makalesi**

DOI:

<http://dx.doi.org/10.29228/JASSS.51357>**Öz**

Kur'an birçok araştırmada kaynak omaya devam ettiği gibi Arapça belağatında da en önemli kaynaktır. Şüphesiz ki Kur'an'da şu ana kadar ortaya çıkarılmamış c evherler mevcuttur. Var olan bu cevherler Kur'anı, araştırmacıların nezdinde hep diri tutmuştur.

Alimlerin bazıları Kur'ana tefsir yönüyle bakarak Kur'anı tefsir etmeye çalışmışlardır. Bazı alimler de Ku'rana fıkıh yönüyle bakarak fıkhi hükümler çıkarmaya çalışmışlardır. Bazıları da kıraat yönüyle Kur'anı incelemiş, tefsir ve kıraat arasındaki ilişkiyi ortaya çıkarmaya çalışmışlardır. Bazı alimler de farklı disiplinleri bir araya getirerek araştırma yapmışlardır.

Gelecekte de bu tür araştırmalar farklı yönlerle insanlığı aydınlatmaya devam edecektir.

Bu araştırma hem dil, hem belağat, hem de tefsir ile ilgili bir konuyu ele almaktadır. Bildiğimiz gibi kur'an-ı kerim bazı müteşabih ayetleri, terimleri ve bu konular etrafında dönen çeşitli konuları içermektedir. Bu başlık altında; kur'an kıssaları, geçmiş kavimlerin inanç, ibadet gibi ritüellerini zikredebiliriz. Kur'an daki müteşabih ayetler üzerinde bir çok araştırma yapılmıştır. Ancak bu çalışmaların çoğu betimseldi, yani bu çalışmalar ayetin farklılıklarından, nedenlerinden ve ayetin tesiriyle olan bağlantılarından bahsetmiyordu. Bu çalışmanın amacı buradaki eksikliği tamamlamaktır. Bu çalışmada müteşabih ayetler seçilmiş olup bu ayetler arasındaki benzerlik ve benzerliğin ayete etkisi açıklanmıştır. Bunlar retorik ve teknik anlamda ipuçları vererek ayeti, te'vil ve tefsir açısından zenginleştirir.

Atıf Bilgisi / Reference Information

Aldyab, A. (2021). Müteşabih Ayetlerin Bağlam Belağatı ve Tefsire Etkisi (السياق الفني والبلاغي في الآيات المتشابهة وأثره) في التفسير. *Jass Studies-The Journal of Academic Social Science Studies*, 14(86): 89-94.

Context Rhetoric and Interpretation of Mutahabih Verses

Asst. Prof. Dr. Ahmed Aldyab

Yildirim Beyazit University, Faculty of Humanities and Social Sciences, Department of Eastern Languages and Literatures, Ankara – TURKEY

Article History

Submitted: 10.05.2021

Accepted: 15.07.2021

Published Online: 28.09.2021

Keywords

Rhetoric

Arabic Language

Exegesis

Verse

Rhetorical Differences

Context

Research Article

DOI:

<http://dx.doi.org/10.29228/JASSS.51357>**Abstract**

The Quran continues to be a source in many researches, as well as the most important source in Arabic rhetoric. Undoubtedly, there are evers that have not been revealed in the Quran until now. These existing cevers have always kept the Qur'an alive in the eyes of researchers.

Some of the scholars have tried to interpret the Qur'an by looking at the Quran in terms of interpretation. Some scholars have tried to make fiqh decrees by looking at the Quran in terms of fiqh. Some of them examined the Qur'an in terms of recitation and tried to reveal the relationship between tafsir and recitation. Some scholars have done research by bringing together different disciplines.

In the future, such researches will continue to enlighten humanity in different ways.

This research is both language and eloquence.

This research deals with a topic related to both language and exegesis. As we know, the Quran contains some verses, terms and various subjects revolving around these subjects. Under this title; We can mention the stories of the Quran, the rituals of the past tribes such as belief and worship. A lot of research has been done on the amulet verses in the Quran. However, most of these studies were descriptive, that is, they did not mention the differences of the verse, their reasons, and their connections to the verse's influence. The purpose of this study is to complete the deficiency here. In this study, the amulet verses were selected and the similarity and similarity between these verses were explained. These give rhetorical and technical clues and enrich the verse in terms of interpretation and interpretation.

السياق الفني والبلاغي في الآيات المتشابهة وأثره في التفسير

الملخص :

لا يزال القرآن مصدر الأبحاث والبلاغة العربية، فالقرآن الملهم الأول للباحثين والدارسين على حد سواء، وكلما مرّ يوم تزداد درر القرآن لمعاناً وبرقاً، فهو مصدر علماء التفسير وعلماء البلاغة والفقه والقراءات وغيرها من الموضوعات المتنوعة، وهو مصدر لربط موضوعات مختلفة في الدراسة والبحث، وهذا الذي يجعل من القرآن معيناً ونبعاً لا ينضب من اللآلئ والكنوز. وتناول هذا البحث موضوعاً له علاقة باللغة والتفسير والبلاغة معاً، فكما نعرف أن القرآن يحوي بعض الآيات المتشابهة في الألفاظ والمعاني والتي تدور في عدة موضوعات، منها القصص القرآني وأحوال الأمم والأقوام السابقين ومنها أمور العقيدة والعبادات وغيرها. وقد درس موضوع الآيات المتشابهة في القرآن كثيراً، لكن كانت معظم هذه الدراسات وصفية، أي أن هذه الدراسات لم تذكر الفروق والأسباب وصلتها بتفسير الآية. ويأتي هذا البحث ليستدرك هذا النقص، فقد اختار هذا البحث الآيات المتشابهة وقام بتعليل التشابه بين الآيات وبيان أثر هذا التشابه على الآية وما تعطيه من لمحات بلاغية وفنية تُغني معنى الآية تفسيراً وتأييلاً. الكلمات المفتاحية: البلاغة، اللغة العربية، التفسير، الآية، الفروق البلاغية، السياق

المقدمة

لا شك أن التعبير القرآني يمثل أرفع التعبيرات بلاغة وحساً، فالقرآن يراعي في اختياراته أموراً كثيرة وفي مقدمتها المعنى، فيقوم ببناء المعنى على أسس مراعاة السياق والآية والسورة، فمثلاً يمكن أن تتشابه آيتان مع اختلاف ببعض التعبيرات التي يقصدها القرآن أخذاً بالحسبان القيمة البلاغية للسياق والقيمة الأسلوبية للاستعمال. وبدون شك أن القرآن كنز لا تقنى معانيه ولا يمكن أن يُحاط بالفاظه، ولا شك أيضاً أن القرآن يستعمل كلماته بأدق صورة وبمنتهى البلاغة، فكل كلمة تخدم الآية معنى وبلاغة وسياًقاً. فقد يراعي القرآن السياق الذي ورد فيه التعبير والسورة التي ورد فيها السياق والسيقات الأخرى التي يكون التعبير نفسه أو مقارب له. فالتعبير القرآني يكون على سبيل الآية الواحدة وربما يكون في نفس السورة وقد يكون بين آيتين مختلفتين في السورة. وسيختار البحث أمثلة متنوعة وهذا لا يعني أنها الوحيدة في القرآن وإنما القرآن ممثلي بهذه التعبيرات الفنية والبلاغية. إن مواطن التعبير الفنية تتنوع وتتلون بحسب ما يقتضيه السياق الكلامي للآية والسورة، فربما يزيد في مكان ويحذف في مكان آخر وربما يغير في حرف أو حرفين والأمثلة في ذلك كثيرة جداً في القرآن.

1- قوله تعالى (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (22) الحج.

وقوله تعالى (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) (20) السجدة من خلال النظر إلى الآيتين نلاحظ الفروق الآتية:

جاء في سورة الحج قوله تعالى " من غم " بينما لم تأت في سورة السجدة. وجاء في سورة السجدة قوله تعالى " وقيل لهم "، بينما لم تأت في سورة الحج. ومن الفروق الأخرى قوله تعالى في سورة الحج " عذاب الحريق " وقوله تعالى في سورة السجدة " عذاب النار ". فرق آخر قوله تعالى في سورة السجدة " الذي كنتم به تكذبون "، بينما لم تأت في سورة الحج.

التعبير القرآني أحسن في تقديم هاتين الآيتين بهذه الفروق ولنبين ذلك. بالنسبة لذكر " من غم " في سورة الحج فإننا نلاحظ أنه تعالى ذكر الجزاء بتفصيلاته وتفرعاته في سياق سورة الحج وكان هذا الجزاء للمؤمنين والكافرين، فقد ذكر الله تعالى أحوال الكافرين يوم القيامة وأحوال المؤمنين، فقال تعالى (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْنَعُ لَهُمْ فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (21) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23) وَهُمْ إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) الحج.

فنحن نرى كيف فصل الله تعالى في أحوال الكافرين وكيف فصل في أحوال المؤمنين، بينما ذكرت سورة السجدة مسألة الجزاء على سبيل الإيجاز، فقال تعالى (أَقَمْنَا كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (19) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (20)) السجدة. فذكر التفصيل يناسب ذكر " من غم " والغم كما هو معروف شدة في العذاب، فهو عذاب نفسي بذاته ومن هذه الجهة أيضاً يناسب ذكر هذه العبارة، لأن العذاب المذكور في سورة الحج أشد من العذاب المذكور في سورة السجدة.

بالنسبة للفرق الآخر " وقيل لهم " في آية السجدة دون آية الحج ذلك أن العذاب في سورة السجدة قد أخبر عنه وهذا المشهد هو غائب تماماً، فالبلاغة القرآنية ذكرت العذاب في سورة السجدة على الشكل التالي (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمْ النَّارُ كُلَّمَا

أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)، بينما ذُكر في سورة الحج بشكل أكثر إفصاحاً وحضوراً (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) فأية الحج بدأت بذكر اسم الإشارة الذي يشخص الموقف والحال ويجعله أكثر حضوراً بعكس آية السجدة التي تمثل حالة الغياب ولذلك جاء القول بصيغة المبني للمجهول. قوله تعالى في آية الحج " وذوقوا عذاب الحريق " وقوله في آية السجدة " ذوقوا عذاب النار " فإننا نلاحظ أن آية الحج قيلت في الكافرين فقد ذكر تعالى كيف أن ثياب الكافرين ستكون من نار، بينما آية السجدة قيلت في الفاسقين، فذكر الله تعالى الفاسقين بأن لهم النار.

وكما هو معروف أن الفسق يمكن أن يكون أقل من الكفر ويمكن أن يكون مساوياً للكفر. وبمقارنة الحالتين نجد أن عذاب الحريق أشد من عذاب النار، لأن الحريق هو النار الملتهبة والمشتعلة بشدة (الألوسي : 122) وهذا يناسب أحوال الكافرين أكثر من الفاسقين.

بالنسبة لذكر التكذيب بعذاب النار في سورة السجدة وعدم ذكره في آية الحج، وذلك لأن آية السجدة في ذكر أحوال الفاسقين الذين هم صنف من الكفرة وليس من المؤمنين، فكلمة الفسق ربما تطلق على بعض المسلمين العصاة، فلئلا يُظن أنها تعود لبعض المسلمين العصاة وإنما تعود إلى الكفرة من الفاسقين، بينما لم تذكر في آية الحج لأنها جاءت مصرحة بالكفر لهم. (الغرناطي 1985 : 718)

2- قوله تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) سبأ. ويقول تعالى في سورة يونس (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) يونس. يلاحظ التشابه بين الآيتين، لكن هذا التشابه يحتوي على فروق ترفع من بلاغة الآيتين وتظهر القدرة البلاغية للقرآن، وأول هذه الفروق مجيء النفي في آية سبأ بلا، أما في آية يونس فجاء النفي بما. كما هو معروف في اللغة العربية أن النفي بلا يفيد الاستقبال في بعض حالاته، أما النفي بما فإنه يفيد نفي الحال. (البيطار 2004 : 264) وبالعودة إلى آية سبأ فالكلام على الساعة وأحوال الساعة التي ستكون في المستقبل ولذلك جاء النفي بلا، أما آية يونس فلأن الكلام على الحال ولذلك جاء النفي بما.

الفرق الآخر جاء في سورة سبأ (لا يعزب عنه) وجاء في سورة يونس (وما يعزب عن ربك)، ونحن نلاحظ مجيء الاسم مرة والضمير مرة أخرى. والسبب في ذلك أنه في سورة سبأ تقدم ذكر الرب، فجاء بالضمير فيما بعد، أما في آية يونس فلم يأت ذكر الرب قبلاً، ولذلك جاء الاسم بالتصريح.

من الفروق بين الآيتين، ذكرت " من " في آية يونس ولم تذكر في آية سبأ. والسبب في ذلك أن سياق آية يونس كان في الحديث عن إحاطة علم الله بعلم الغيب وأن الله يعلم كل شيء، والكلام في آية يونس كان ابتداءً على علم الغيب ومقدار علم الله وإحاطته بكل شيء، فجاءت " من " التي تفيد الاستغراق والتأكيد على الشمولية والإحاطة.

في آية سبأ كان الحديث ابتداءً عن الساعة وبعد ذلك جاء الحديث عن علم الغيب، يقول تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة). بالنسبة لتقديم السموات على الأرض في آية سبأ، فلأن الكلام على أحوال الساعة وذكرها، وكما هو معروف أن الساعة تبدأ بأهل السماء عندما يُنفخ في الصور.

أما تقديم الأرض على السماء في آية يونس فلأن الكلام على الناس الذين يعيشون على الأرض حيث يقول الله تعالى (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه 61). (الجوزية 2008 : 74)

وهذا ما أكدته الزمخشري في تفسيره بقوله : حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله : (لا يعزب عنه) لاعم ذلك أن قدم الأرض على السماء. (الزمخشري 2009 : 74)

3 - قوله تعالى (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (92) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (93) الأنبياء.

ويقول تعالى في سورة المؤمنين (وَأِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرْحُونَ (53) المؤمنون.

نلاحظ الفروق التعبيرية بين الآيتين وأولها قوله تعالى في آية الأنبياء فاعبدون، وقوله تعالى في آية المؤمنين فاتقون. آية المؤمنين جاءت بعد ذكر عدة أقوام وذكر جزائهم وعصيانهم لرسولهم وقد تراكمت هذه الآية بسباق التهديد والتحذير حيث يقول الله تعالى (فذرهم في غمرتهم حتى حين

(، أما آية الأنبياء فقد جاءت بعد سياق التكريم والإنعام والتفضل والإحسان كما في قصة أيوب وزكريا ومريم. ومن هنا كان السياق مناسباً لكلمة "فاتقون" في آية المؤمنين، فالتقوى تكون بعد التحذير والتنبيه والتخويف، وأما كلمة "فاعبدون" في آية الأنبياء فقد جاءت بعد الإحسان والتكريم وهذا يناسب للذي أنعم الله وأحسن عليه أن يأمره بالعبادة. (التوحيد 1828 : 409)
وأما قوله تعالى في آية الأنبياء " وتقطعوا " بالواو، وفي سورة المؤمنين " فتقطعوا " بالفاء. يقول الألوسي: الفاء لترتيب عصيانهم على الأمر لزيادة تقبيح حالهم. (الألوسي : 41) فمجيء الفاء يفيد أن التقطع والافتراق قد وقع عقب الأمر بالتقوى، وهذا يدل على أنهم كانوا شديدي التعنت وعدم قبول الحق.

بينما جاءت الواو في آية الأنبياء، والواو كما هو معروف في العربية تفيد مطلق الجمع (البيطار 2004 : 193). وهذا يدل على احتمال تأخر تقطيعهم عن الأمر بالعبادة.

وقد جاءت لفظة " زبرا " للتوكيد على التفرق الذي حصل ووقع، وأيضاً ذكر كلمة " حزب " بقوي هذا التفرق.
3- قوله تعالى في سورة الأعراف (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَآذَا تَأْمُرُونَ (110))

ويقول الله تعالى في سورة الشعراء (قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَآذَا تَأْمُرُونَ (35))
لاشك إن من أكثر الآيات المتشابهة في القرآن هي تلك التي ذكرت في قصة سيدنا موسى. لكن بالنظر في تلك الآيات المتشابهة نجد بعض الدقائق البلاغية التي كشفت لنا جوانب مضيئة من هذه القصة والتي كان لها أثر في التفسير، فهذه الدقائق قد أتممت وأكملتم نواقص الفهم في هذه القصة ليس هذا فحسب، بل وإننا من خلال هذه اللحاحات والدقائق البلاغية نستطيع أن نتخيل الحدث القصصي بحركته وحيثياته وأحداثه. وإن التكرار في هذه الآيات يبدو لغير العارفين بهذه الدقائق على أنه تكرار لفظي أو تكرار في المعنى، وهؤلاء لم يلتفتوا إلى هذه التعابير الدقيقة التي قدمها القرآن لأصحاب الفهم كي يتذوقوا حلاوة البلاغة القرآنية ويتقبلوا بعقولهم الإعجاز القرآني.
ومن الملاحظات البلاغية في هذه الآيات المذكورة، ملاحظة سياقي القصة في سورة الأعراف والشعراء، ففي سياق قصة موسى في سورة الأعراف جاءت القصة بقسمين، القسم الأول حكاية موسى مع بني إسرائيل والقسم الثاني حكاية مع فرعون، أما سياق قصة موسى في سورة الشعراء فقد جاءت حكاية موسى مع فرعون فقط، فالسياق في سورة الأعراف أوسع وأكثر شمولية، أما سياق سورة الشعراء فالسياق كان متركزاً على قصة موسى مع فرعون فقط.

وبالنظر إلى الآيات السابقة مقترنة بسياقها نجد أن اتهام سيدنا موسى بالسحر في سورة الأعراف كان من قبل ملأ فرعون حيث جاءت الآية (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم) 109 الأعراف

بينما اتهام سيدنا موسى بالسحر في سورة الشعراء كان من قبل فرعون مباشرة (قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم) الشعراء.
والسؤال : كيف نفهم تأثير السياق على اختلاف الجهة القائلة في الآيتين؟

في آية الأعراف كانت المواجهة بين السحرة وبين سيدنا موسى بينما كان فرعون يقف ويسمع ويراقب دون التدخل منه في ذلك، فقد ترك الأمر لملأه. ومن هنا كان يبدو فرعون الحاكم والمتعطرس والإله بزعمه، فهو ما كان يريد أن يضع نفسه مقابل سيدنا موسى حتى لا تهتز صورته أمام الجمع والملأ، فهو كان يحاول أن يقول ويظهر أن مواجهة الساحر يجب أن تتم من قبل ساحر مثله، بينما أنا الإله الذي لا يمكن أن يتنازل عن مقامه لمواجهة هذا الساحر.

فسياق الآية جاء في حكاية موسى من خلال القصة الواسعة التي لم يكن التركيز فيها على فرعون فحسب، فكانت حكاية موسى في الأعراف بالشكل العام والمجمل للقصة وكان التركيز فيها على محتويات القصة من حيث الحدث فقط، وكان المواجهة الحقيقية بين الحق المتمثل بسيدنا موسى والباطل المتمثل بفرعون لم تكن في سورة الأعراف.

وهذا الذي نجده في سورة الشعراء حيث كانت المواجهة بين سيدنا موسى وفرعون وجهاً لوجه وكانت حيثيات المواجهة تتمثل في حقيقة الربوبية، فنجد لفظة الرب تمر في حكاية موسى في سورة الشعراء عدة مرات قبل أن تأتي المواجهة بين سيدنا موسى وفرعون بادعاء فرعون بأن سيدنا موسى ساحر، وهذا ما نلاحظه في الآيات التي سبقت المواجهة من مثل قوله تعالى (إنا رسول رب العالمين)

فوهب لي ربي حكماً) ، (قال فرعون وما رب العالمين) ، (قال رب السموات والأرض) ، (قال ربكم ورب آبائكم) ، (قال رب المشرق والمغرب) . وبالتالي كان لزاماً على فرعون أن يخرج عن صمته ويتجه لمواجهة سيدنا موسى بنفسه بعد أن أصاب سيدنا موسى النقطة الحساسة عند فرعون وجردته من صفة الألوهية التي يعتز فرعون بها ولهذا تأتي الآية على لسان فرعون مباشرة (قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم) .

ومن الأشياء الملاحظة في آية الشعراء أن فرعون نسب السحر لسيدنا موسى بلفظ السحر التي لم تكن موجودة في آية الأعراف، فهو قال في آية الشعراء (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فمآذا تأمرون) 35 الشعراء

ولانجد لفظة السحر في آية الأعراف، ليس هذا فحسب، بل إننا نلاحظ من سياق آيات الشعراء أن فرعون حاول أن يصعد ويواجه سيدنا موسى بمستويات عدة، منها استنهاض همم قومه والعصبية الدينية بأن موسى يحاول أن يغير عبادة الأجداد والتقاليد المتبعة في العبادة آنذاك فيقول فرعون (قال لمن حوله ألا تستمعون 25 قال ربكم ورب آبائكم الأولين 26) الشعراء.

وبعد ذلك حاول أن ينسب الجنون لسيدنا موسى فقال (قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون 27) الشعراء. وبعد أن أدرك فرعون عزم وإصرار سيدنا موسى حاول أن يهدده بالتخويف العلوي والأرضي إن صَحَّ التعبير بأنه هو الإله وأنه لا يوجد إله آخر غيره وبأنه يملك القوة لسجن موسى حيث قال (قال لئن اتخذت إله غيري لأجلنك من المسجونين 29) الشعراء.

فالأحداث تتسارع كما نرى قبل المواجهة، لكن فرعون يعرف حقيقة سيدنا موسى وبأنه على حق، فبعد أن عجز فرعون عن تغيير فكر سيدنا موسى لم يبق لديه إلا خيار واحد وهو أن سيدنا موسى ساحر عليم ومتمكن من سحره.

ومن هنا نجد دقة التعبير القرآني وتأثير السياق في فهم وإدراك حقيقة بلاغة القرآن.

الخاتمة:

توصلت من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج ومنها

- 1- مهما بلغت الأبحاث في دراسة بلاغة القرآن الكريم فإن جواهره لا تنتهي ولا تنطفئ.
- 2- قليلة هي الأبحاث التي تبحث بلاغة القرآن على سبيل المفردة والركيب مقارنة بالأبحاث التي أظهرت إعجاز القرآن بشكل عام.
- 3- تتعاون عدة محاور في إظهار بلاغة القرآن والتعبير الفني وهذه العناصر، أولاً السياق، ثانياً: الأسلوب، ثالثاً: علوم البلاغة المختلفة.
- 4- الدراسات الفنية في القرآن خصبة جداً، لكننا لا نجد كتباً تختص بدراسات المفردة داخل السياق والأسلوب معاً، وإنما نجد دراسات عامة على سبيل المثال التنعيم والنبر والقصة القرآنية وغيرها.
- 5- الأسلوب البلاغي للقرآن أسلوب متوازن يحقق المتعة في الفهم مع رفع المعنى إلى أعلى درجة ممكنة.
- 6- لا يمكن لباحث التعبير البلاغي والفني في القرآن أن يتذوق هذه الفنية دون معرفته باللغة العربية وبلاغتها.
- 7- الإحاطة بالتعبير الفني والبلاغي في القرآن لا يمكن أن تتم بالشكل الكامل، فدائماً يبقى التعبير البلاغي الباب مفتوحاً تاركاً الطريق للباحثين الآخرين بالبحث والتنقيب.

المصادر والمراجع:

- الألوسي شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي.
- أمين بكري شيخ، 1973، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق.
- البيطار عاصم، 2004، النحو والصرف، مطبعة جامعة دمشق.
- التوحيدي أبو حيان حيان 1328، البحر المحيط، مطبعة السعادة بمصر، ط1
- الجوزية ابن القيم، 2008، بدائع الفوائد، الطباعة المنيرية.
- الزمخشري، 2009، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دمشق، دار المعرفة.
- السامرائي فاضل، معاني النحو، مطبعة التعليم العالي في الموصل، العراق.
- الغرناطي أبو جعفر أحمد بن الزبير، 1985، ملاك التأويل القاطع بذي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.